**جامعة قالمة**

**مناهج البحث الفلسفي**

**محاضرات:المثل والجدل والأسطورة:**

**محاضرة - المثل: أفلاطون نموذجا**

**المثل:** يعني أفلاطون بالمثال éidos الحقيقة الثابتة وراء الظواهر المحسوسة الدائمة التغير ولم يكن أفلاطون مبتدعا لهذا التصور إذ قد استعملت كلمة المثال eidos من قبله عند الفيتاغوريين وهم الذين انصرفوا عن البحث في المادة التي تتكون منها الأشياء، وعنوا بتحديد النسبة الهندسية الواضحة في العقل وانتهوا في هذا إلى القول بأن العدد أو الشكل الهندسي هو حقيقة الأشياء وقد كان لتفسيرهم الرياضي هذا أكبر الأثر على فكر أفلاطون. أما المصدر السقراطي لنظرية المثل الأفلاطونية فيتمثل في محاولة سقراط تحديد تعريفات ثابتة للتصورات الأخلاقية اذ كان يبحث عن ماهية الشجاعة أو العدل لكي ينتهي إلى الحقيقة الثابتة التي لا تتغير مهما تغيرت أمثلتها.

**معرفة المثل**

ليس معرفة المثل في متناول أي إنسان من الناس وأنما هي وقف على الصفوة منهم. على الفلاسفة أولئك الذين خصتهم الطبيعة بمواهب لا تتوافر عند سائر الناس، خصتهم بأنقى النفوس معدنا تلك النفوس الطاهرة التي وصفها في محاورة فايدروس بأنها حظيت في الزمام الغابر بالرؤية الصحيحة، ولأفلاطون وسائل مختلفة لشرح هذه المعرفة بالمثل نبدؤها بنظريته في التذكر.

يشرح أفلاطون التذكر في محاورة فيدون فيفسر كيف يتنبه العقل عند رؤية المحسوسات فيتعرف على حقيقتها التي سبق للنفس أن رأتها في حياتها السابقة, وذهب إلى أننا حين نرى شيئين متساويين في الواقع فأننا نحكم عليهما بالتساوي لمعرفتنا السابقة بحقيقة المساواة, ولولا هذه المعرفة السابقة لما أمكننا إصدار مثل هذه الأحكام.

ويعرض أفلاطون درجات المعرفة الجدلية المختلفة التي يتدرج فيها الفيلسوف حتى يحظى برؤية المثل فيقول موضحا هذا المنهج: "سقراط: إليك ما يقوم بتحقيقه الديالكتيك، وأن ملكة البصر لتشبه شبها قويا خاصة عندما نحاول كما ذكرنا أن ننظر إلى الكائنات الحية ثم إلى الكواكب وأخيرا إلى الكائنات الحية ثم إلى الكواكب وأخيرا إلى الشمس ذاتها. وكذلك يكون الحال عندما يسعى الإنسان إلى الوصول إلى ماهية الأشياء بواسطة الديالكتيك وبغير الاعتماد على أي حاسة، بل استعمال العقل وحدة، حين يواصل سيره إلى أن يدرك بالفكر وحده ماهية الخير فيصل إلى قمة العالم المعقول كما يصل سجين الكهف الذي قد تحرر من الظلام إلى رؤية قمة العالم المنظور.

**الجدل:** استمد اسمه من الفعل اليوناني الذي يعني "يحاور" بالتالي فقد كان معناه في البداية "فن الحوار"، والمجادلة والحجج والمناقشة، والمناظرة، والقياس الكاذب....إلخ. وهو يكتب أحيانا باسمه اليوناني الديالكتيك Dialectics، ومفردا مرة أخرى Dealectic. واهتم به كثرة من الفلاسفة والمفكرين كان أعظمهم أرسطو(384-322ق.م) في العصور القديمة، لأنه جمع معانيه، وجعله قسما في منطقة، كما ناقش جدل زينون في كتابه " علم الطبيعة "، ومع ذلك فهو لم يعطه المكانة الرفيعة التي كانت عند أستاذه أفلاطون. أما في العصور الحديثة والمعاصرة فقد كان هيغل(1770-1891)أعظم الفلاسفة الذين اهتموا بالجدل وكتب عنه كثيرا وباهتمام شديد حتى سمي الفيلسوف الجدلي، كما أثر في الفلسفات التالية عليه لا سيما الفلسفة الماركسية والوجودية على إخلاف لمعنى "الجدل" في الفلسفتين مع اعترافها بفضل هيغل الكبير عليها.

**الجدل الأفلاطوني:**

ويرى أفلاطون أن للجدل طريقين: الجدل الصاعد والجدل الهابط. فالإنسان يلاحظ الجزئيات ثم يرتفع منها إلى الطبيعة العقلية العامة التي تربط بينها: هذه الشجرة الجزئية وتلك شجرة الأمس، وما قبله وما بعده، إلى أن نصل إلى الشجرة الأصلية، أي مثال الشجرة، وهكذا في الحصان والحمار والجمل والقط، وغيرها من الأشياء الحسية، وكل ما يلحظه الإنسان من أشياء في عالم الحسّ، ثم يرتفع من هذه الكثرة الحسية إلى الوحدة العقلية التي تشملها وتفسرها، ومن هذه الوحدة العقلية إلى معقولات أعلى منها مرتبة. وهكذا يستمر العقل في الارتفاع من الأفراد إلى الأنواع إلى الأجناس حتى يصل في النهاية إلى جنس الأجناس، إلى فكرة هي أعم الأفكار وأكثرها حقيقة و أعلها مقاما وهذه الفكرة ليست إلا (مثال الخير) الذي يقوم في العالم المعقول مقام الشمس في العالم المحسوس ويضفي على المعقولات هذا الضوء الذي تكون به مرئية والحرارة التي (تكسبها الحياة) ورؤية الخير هي رؤية مباشرة وحدس عقلي وبغير حدوث هذا الرؤية والوصول إلى مبدأ الأعلى لكل الموجودات يضل العقل في تشتت.

لكن هذه العملية لبد أن تكتمل بعملية أخرى يهبط فيها الإنسان من الأجناس العالية إلى الأنواع التي تندرج تحتها ثم الأفراد التي يشكلها كل نوع وله أن يسير في هذا الهبوط على منهج التحليل أو باستخدام القسمة الثنائية المستنيرة بحدس المثل وهكذا يصل بنا أفلاطون إلى القول بأن الجدل هو المنهج الفلسفي الأعلى وهو حجر الزاوية الذي تقوم عليه العلوم وكان من المقرر أن يكون الجدل هو المرحلة الأخيرة في التربية النظامية التي وضعها أفلاطون لفلاسفته الملوك في دولته المثالية وعلينا أن نلاحظ أن الجدل عند أفلاطون منهج عقلي يسير به العقل من المحسوس إلى المعقول من دون أن يستخدم شيئا حسيا وإنما يسير من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة بحيث يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى والعكس أي صاعدا وهابطا.

**الأسطورة** في اللغة هي الحديث الذي لا أصل له، للأسطورة عدة معان وهي: ذات أصل شعبي تمثل فيها قوى الطبيعة بأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معان رمزية، كالأساطير اليونانية التي تفسّر حدوث ظواهر الكون والطبيعة بتأثير آلهة متعددة أو هي حديث خرافي يفسر معطيات الواقع الفعلي، كأسطورة العصر الذهبي، وأسطورة الجنة المفقودة.

والأسطورة هي الصورة الشعرية أو الروائية التي تعبر عن أحد المذاهب الفلسفية بأسلوب رمزي يختلط فيه الوهم بالحقيقة كأسطورة الكهف في جمهورية أفلاطون.

**مميزات الأسطورة:**

1. من حيث الشكل الأسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حيكة وعقدة وشخصيات، وما إليها. وغالبا ما يجري صياغتها في قالب شعري يساعد على ترتيبها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة، كما يزودها بسلطان على العواطف والقلوب، لا يتمتع به النص النثري.
2. يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة.
3. لا يعرف للأسطورة مؤلف معين، لأنها ليست نتاج خيال فردي، بل ظاهرة جمعية يختلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها. ولا تمنع هذه الخصوصية الجمعية للأسطورة من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفرقة، تطبع أساطير الجماعة بطابعها وتحدث انعطافا دينيا جذريا في بعض الأحيان.
4. يلعب الألهة وأنصاف الألهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا لا رئيسا.
5. تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية. وذلك مثل التكوين والأصول، والموت والعالم الأخر، ومعنى الحياة وسر الوجود، وما إلى ذلك من مستئل التقطتها الفلسفة فينا بعد.
6. تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي.
7. ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه. وهي تفقد كل مقوماته كأسطورة إذا انهار هذا النظام الديني.
8. تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم. إن السطوة التي تمتعت بها الأسطورة، لا يدانيها سوى سطوة العلم في العصر الحديث.

**أسطورة الكهف:**

ويستشعر أفلاطون في نفسه غموض نظريته في المثل وما يحيط بها من لبس وإبهام حيناً أو اضطراب وتناقض حيناً آخر، فيحاول أن يوضحها توضيحاً تمثيلياً بما أطلق عليه اسم أسطورة الكهف على النحو التالي:

تخيل وجود أناس مسجونون في كهف منذ نعومة أظفارهم فهم قد ولدوا في ذلك الكهف، لكن هؤلاء الأشخاص وجدوا أنفسهم مقيدين بحبال أو سلاسل مع بعضهم البعض لا يقوون على المشي أو الالتفات . فقط وجوههم تنظر باتجاه واحد ألا وهو جدار الكهف الذي أمامهم. ويفترض أفلاطون وجود نار خلفهم لتقوم بتدفئتهم ضد جو الكهف البارد وتنير المكان، كما يفترض وجود ممر يخترق الكهف ويفصل تلك النار عن هؤلاء السجناء.عندها يرى هؤلاء السجناء الناس التي تمر في هذا الممر على هيئة ظلال ملقاة على الحائط الذي أمامهم ويسمعون أصواتهم كصدى غير مفهوم، وعندما تتأجج النار تتحرك ظلالهم وتكبر، تلك هي الحركة الوحيدة التي يشاهدونها وهذا الصدى هو الصوت الذي يسمعونه. ولكن ماذا يحدث لو استطاع أحد هؤلاء السجناء أن يفك قيده ويتسلل خارج الكهف؟؟

عندها سيرى النور الحقيقي في الخارج نور الشمس ويبدأ بفرك عينيه من شدة الألم الذي يصيبهما بعد بقاء طوال عمره في هذا الكهف، فشتان بين نور الشمس الساطع وخفة ضوء النار التي تنير ظلمة الكهف. وبعدما تبدأ عينيه في التكيف على وضعه الجديد، يبدأ في رؤية الأشياء على حقيقتها الفعلية، والتي لم يكن ليتخيل وجودها بهذا الشكل المختلف والمبهر.

وبطبيعة الحال بعد أن شاهد كل هذا وأطلع على حقيقة الأمر فإنه يريد أن يرجع إلى الكهف ويخبر باقي السجناء عن كل ما شاهده واكتشفه من روائع خارج الكهف، لذلك فإنه يجري مسرعاً ويقف على نفس الممر ويظل يحكي بالساعات عما شاهده،

ولكن للأسف لا يتعرفون إليه ولا يرونه سوى ظل على الحائط ...ولا يسمعون صوته

سوى صدى غير مفهوم. فبالنسبة إليهم هذه هي الحقيقة الوحيدة التي يعرفونها، ولكن هذا لا يعني أن الحقيقة الفعلية ليست موجودة هذا الكهف في نظر أسطورة الكهف الأفلاطونية لها معنى فلسفي وهذا الكهف هو عالمنا الحسي حيث يتصور الناس سجناء في كهف وليس بإمكانهم الخروج منه بحيث يرون الشمس الساطعة الموجودة فوق الكهف، وعندما يتمكن البعض من الخروج من هذا الكهف ومن رؤية تلك الشمس التي تبهر بنورها القوي، يعسر عليهم فيما بعد النزول من جديد إلى نفس الكهف والعيش من جديد في ذلك الظلام الحالك الذي كانوا فيه. هذه الأسطورة تعبير رمزي عن معنى فلسفي كشف عنه أفلاطون نفسه بعد سرده لمحتوى هذه الأسطورة.

فحالة السجناء تعني حالة المعرفة الحسية وهي حالة الجهل والظلام المعرفي ، أما مجال الشمس فيمثل ميدان المعرفة الحقيقية وهو عالم المثل ... وفي النفس، ورأيه في الأخلاق وفي الدولة وفي الفن، كل هذه فروع مستنبطة من نظرية المثل التي لم تكن ثمرة أفلاطونية مباشرة، بل هي مزيج من الفلسفة الإيلية وفلسفة هيراقليطس وفلسفة سقراط اجتمع في ذهن أفلاطون فاستحال إلى لون جديد من الفلسفة مطبوع بطابعه، وأساسه التفرقة بين العقل والحس كما أننا نرى أيضا أن منهج أفلاطون في الفلسفة هو التوفيق والتنسيق كما يغلب على منهجيته الجانب المثالي المتمثل في الجدل الصاعد والجدل النازل ونظرية المثل.